

الكلماتُ الحِسانُ
في بيانِ
علوِّ الرحمنِ

جميع حقوق الطبع محفوظة
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

الكلماتُ الحسانُ

في بيانِ
عُلُوِّ الرَّحْمَنِ

تأليف:

عبد الهادي بن حسن وهبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ

المُقدِّمة

إِنَّ الحمدَ لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضِلِّ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ الله، وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢)

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد.. فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وأحسنَ الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

أما بعد: فإنَّ أولى ما يتنافسُ به المتنافسون، وأخرى ما يتسابقُ في حلبة سباقه المتسابقون، ما كانَ بسعادة العبدِ في معاشه ومعاده

كفياً، وعلى طريق هذه السعادة دليلاً، وذلك العلم النافع، والعمل الصالح اللذان لا سعادة للعبد إلا بهما، ولا نجاة له إلا بالتعلق بسببهما، فمن رزقهما فقد فاز وغنم، ومن حرّمهما فالخير كله حرم. ولما كان العلم للعمل قريناً وشافعاً، وشرفه لشرف معلومه تابعاً، كان أجل العلوم وأفضلها وأشرفها وأسمىها على الإطلاق: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله.

ولقد شهد الله ﷻ - وشهادته أجل شهادة وأعظمها وأعدلها وأصدقها - لنفسه بأنه استوى على العرش، وبأنه القاهر فوق عباده، وبأن ملائكته يخافونه من فوقهم، وأنّ الملائكة تعرج إليه بالأمر، وتنزل من عنده، وأنّ العمل الصالح يضعّد إليه. وشهدت له الجهميّة بضد ذلك، وقالوا: شهادتنا أصح، وأعدل من شهادة النصوص. فإنّ النصوص تضمّنت كتمان الحق وإظهار خلافه.

فشهادة الرّبّ تعالى^(١): تكذب هؤلاء أشدّ التكذيب، وتتضمّن أنّ الذي شهد به قد بيّنه وأوضحه وأظهره، حتّى جعله في أعلى مراتب الظهور والبيان، وأنّه لو كان الحقّ فيما يقوله المعطّلة والجهميّة - الذين يقولون: ليس فوق السموات ربّ يعبد، ولا على العرش إلّه يصلّى له ويسجد - لم يكن العباد قد انتفعوا بما شهد به ﷻ؛ فإنّ الحقّ في نفس الأمر - عندهم - لم يشهد به لنفسه، والذي شهد به لنفسه، وأظهره وأوضحه: فليس بحق، ولا يجوز أن يستفاد منه الحق واليقين.

(١) اعلم - بارك الله فيك - بأنّ الله ﷻ: أعظم شيء شهادة، كما قال ﷻ: ﴿قُلْ أَتَى شَيْءٌ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٩]، فإنّ شهادته ﷻ لا غلط فيها ولا ظلم، تعالى الله عز وجلّ عن ذلك.

ولقد وفَّقني الله تعالى للكتابة في صفةٍ عظيمةٍ من صفات ربِّ العالمين تبارك وتعالى، ألا وهي «**الْعُلُوُّ وَالْفَوْقِيَّةُ**» ليزداد الذين آمنوا إيماناً، وليعلم الذين عَقَدُوا أُلُويَةَ البدع وأطلقوا عقَالَ الفتنَةِ أَنَّهُمْ ليسوا على شيءٍ في هذا الباب. «فَهُمْ مُخْتَلِفُونَ في الكتاب»^(١)، مُخَالِفُونَ للكتاب^(٢)، مُجْمَعُونَ على مفارقةِ الكتابِ، يقولونُ على الله، وفي الله، وفي كتابِ الله بغيرِ علم، يَتَكَلَّمُونَ بِالْمُتَشَابِهِ مِنَ الكلام، وَيَخْدَعُونَ جُهَّالَ النَّاسِ بما يُشَبِّهُونَ عليهم. فنعوذُ بالله من فتنِ الضَّالِّينَ»^(٣).

أَسْأَلُ الله تعالى «أَنْ يُوَفِّقَنَا لما يُرْضِيهِ مِنَ القولِ والعملِ والنيَّةِ، وَأَنْ يُحْيِيَنَا على الطَّريقَةِ التي يَرْضاها، وَيَتَوَقَّأَنَا عليها، وَأَنْ يُلْحِقَنَا بِنَبِيِّهِ وخيرته مِنْ خلقه مُحَمَّدٍ المصطفى وآله وصحبه، ويَجْمَعَنَا معهم في دارِ كرامته، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ»^(٤).

الراجي عفو ربِّه
عبد الهادي بن حسن وهيبي^(٥)



(١) وهذا يتضمَّن الاختلافَ المذمومَ المذكورَ في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦].

(٢) فهذا إشارةٌ إلى تقديم غيرِ الكتابِ على الكتابِ، كتقديم معقولهم وأذواقهم وآرائهم ونحو ذلك على الكتابِ، فَإِنَّ هذا اتفاقٌ منهم على مخالفةِ الكتابِ. ومتى تركوا الاعتصامَ بالكتابِ والسنة، فلا بُدَّ أَنْ يختلفوا، فَإِنَّ النَّاسَ لا يفصل بينهم إِلَّا كتابٌ منزلٌ من السماء.

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٨٢ - ٢٨٤).

(٤) الاقتصاد في الاعتقاد (ص ٢٢٣ - ٢٢٤)، للحافظ عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ اللهُ.

(٥) بيروت - لبنان - ص. ب ١٣/٦٠٩٣ شوران. هاتف: ٠٣/٦٢٦٧٨٧ - فاكس: ٠١/٧٩١٠٥١.

أَدِلَّةُ عُلُوِّ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ

اعلم - وفقنا الله وإياك لما يُرضيه من القول والنية والعمل،
وأعاذنا وإياك من الزَّيغِ والزَّلَلِ - أنَّ صالحَ السَّلفِ، وخيارَ الخلفِ،
وسادة الأئمة، وعلماء الأمة، اتفقت أقوالهم، وتطابقت آراؤهم على
أنَّ الله موصوفٌ بصفات الكمال، ونعوت الجلال، التي جاء بها
الكتاب والسنة؛ يُثبتون لله ما أثبتته لنفسه المقدسة، وما وصفه به
رسوله ﷺ، من غير تمثيل، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تشبيه؛ ولا
يبتدعون لله وصفاً لم يرد به كتاب ولا سنة.

فإنَّ الله تعالى: أعظم، وأجلُّ، وأكبر، وأعلى، وأكمل في
صدور أوليائه المؤمنين، من أن يتجاسروا على وصفه، ونعته، بمجرد
عقولهم وآرائهم، وخيالات أوهامهم. فهم كما يقول ابن القيم رحمه الله:
وَكَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدِهِ فِي قَلْبِهِ أَعْلَى وَأَكْبَرُ شَانَ
مِنْ أَنْ يُحَرَّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَأَنْ يُقْضَى لَهُ بِالْعَزْلِ عَنْ إِيقَانٍ^(١)
فَأَمَّنُوا بما قال الله سبحانه في كتابه، وصحَّ عن نبيه، وأمرؤه كما
وَرَدَ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِكَيْفِيَّةٍ، أَوْ اعتقادٍ شبهةٍ أو مثليةٍ، أو تأويلٍ يؤدي
إلى تعطيل^(٢)، ووسعتهم السنة المحمدية، والطريقة المرضية، ولم

(١) الكافية الشافية (ص ١٨١ - ١٨٢).

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد (ص ٧٨ - ٨٢).

يَتَعَدَّوْهَا إِلَى الْبِدْعَةِ الْمُرْدِيَةِ الرَّدِّيَّةِ، فَحَازُوا بِذَلِكَ الرُّتْبَةَ السَّيِّئَةَ، وَالْمَنْزِلَةَ الْعَلِيَّةَ^(١).

وَمِنْ الصِّفَاتِ الْعَظِيمَةِ الثَّابِتَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ: «صِفَةُ الْعُلُوِّ وَالْفُوقِيَّةِ»، وَالْأَدْلَةُ عَلَى إِثْبَاتِهَا كَثِيرَةٌ وَمُتَنَوِّعَةٌ، هَذَا أَوَّانُ سَرْدِهَا فَأَلْقِ سَمْعَكَ، وَأَحْضِرْ قَلْبَكَ، وَتَأَمَّلْهَا تَأَمَّلَ طَالِبٍ لِلْحَقِّ لَا نَافِرٍ عَنْهُ، وَكُنْ مِنَ الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، وَإِيَّاكَ وَسُوءَ الظَّنِّ بِكَلَامِ اللَّهِ وَكَلَامِ رَسُولِهِ فَذَلِكَ الْهَلَكَةُ، وَمَا ضَلَّ مَنْ ضَلَّ، وَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، إِلَّا لِسُوءِ ظَنِّهِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ^(٢).

أَحَدُهَا: التَّصْرِيحُ بِالْفُوقِيَّةِ مَقْرُونًا بِأَدَاةِ «مِنْ» الْمَعْيِنَةِ لِلْفُوقِيَّةِ بِالذَّاتِ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

قَالَ ابْنُ خَزِيمَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَأَعْلَمْنَا الْجَلِيلُ جَلًّا وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ رَبَّنَا فَوْقَ مَلَائِكَتِهِ، وَفَوْقَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ، وَأَعْلَمْنَا أَنَّ مَلَائِكَتَهُ يَخَافُونَ رَبَّهُمُ الَّذِي فَوْقَهُمْ^(٣).

الثَّانِي: ذِكْرُهَا مُجَرَّدَةً عَنِ الْأَدَاةِ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨].

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا حَكَمَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ أَنْ يُقْتَلَ مَنْ جَرَتْ عَلَيْهِ الْمُوسُ، وَأَنْ تُقَسَمَ أَمْوَالُهُمْ

(١) الاقتصاد في الاعتقاد (ص ٨٠).

(٢) معارج القبول (١/٣٠٦).

(٣) التوحيد (ص ١١١) لابن خزيمة.

وذراريهم، فقال رسول الله ﷺ: «لقد حَكَمَ فيهم اليومَ بحُكْمِ الله الذي حَكَمَ به مِنْ فوقِ سبعِ سماواتٍ»^(١).

الثالث: التصريحُ بالعروجِ إليه ﷻ.

قال الله ﷻ: ﴿يَذُرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]، وقال عز وجل: ﴿مَنْ اللَّهُ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٣ - ٤].

قال مجاهد رحمه الله: يقال: ذي المعارج: الملائكة تعرج إلى الله^(٢). وقال الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره: تصعد الملائكة والروح - وهو جبريل عليه السلام - إليه يعني: إلى الله جل وعز، والهاء في قوله «إليه» عائدة على اسم الله^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةُ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ - فَيَقُولُ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»^(٤).

قال ابن خزيمة رحمه الله: وفي الخبر ما بان وثبت وصح أن الله عز وجل

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٥/٦٢ - ٦٣) (٨٢٢٣) وغيره، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٧٤٥).

(٢) رواه البخاري (٤٢٦/١٣) تعليقا مجزوماً به.

(٣) جامع البيان (م١٤/ج٢٩/ص٨٧).

(٤) رواه البخاري (٥٥٥) و(٣٢٢٣) و(٧٤٢٩) و(٧٤٨٦)، ومسلم (٦٣٢).

في السَّماءِ، وأنَّ الملائكةَ تصعدُ إليه مِنَ الدُّنيا، لَا كَمَا زعمتِ
الْجَهْمِيَّةُ^(١) الْمُعْطَلَّةُ^(٢).

الرابع: التَّصْرِيحُ بِالصُّعُودِ إِلَيْهِ ﷻ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾
[فاطر: ١٠].

قَالَ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِلَى اللَّهِ يَصْعَدُ ذِكْرُ الْعَبْدِ
إِيَّاهُ وَثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ»^(٣).

وَقَالَ صَدِّيقُ حَسَنِ خَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي الْآيَةِ -: وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى عُلُوِّهِ
تَعَالَى فَوْقَ الْخَلْقِ وَكَوْنِهِ بَائِنًا عَنْهُ بِذَاتِهِ الْكَرِيمَةِ، كَمَا تَدُلُّ لَهُ الْآيَاتُ
الْأُخْرَى الصَّرِيحَةُ وَالْأَحَادِيثُ الْمُسْتَفِيضَةُ الصَّحِيحَةُ^(٤).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وإِلَيْهِ يَصْعَدُ كُلُّ قَوْلٍ طَيِّبٍ وَإِلَيْهِ يُرْفَعُ سَعْيُ ذِي الشُّكْرَانِ^(٥)
وَتَأْمَلِ الْأَحَادِيثَ التَّالِيَةَ:

١ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلٍ

(١) قَالَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ فِي «تَارِيخِ الْإِسْلَامِ» (ص ٦٨)، حَوَادِثُ وَوَفِيَّاتُ ١٢١ هـ -
١٤٠ هـ: «كَانَ النَّاسُ فِي عَافِيَةٍ وَسَلَامَةٍ فَطَرَةً حَتَّى نَبَغَ جَهْمٌ فَتَكَلَّمَ فِي الْبَارِي تَعَالَى فِي صِفَاتِهِ
بِخِلَافٍ مَا أَتَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَأُنْزِلَتْ بِهِ الْكُتُبُ، نَسَأَلَ اللَّهُ السَّلَامَةَ فِي الدِّينِ».

(٢) التَّوْحِيدُ (ص ٣٨١) لِابْنِ خَزِيمَةَ.

(٣) جَامِعُ الْبَيَانِ (م ١٢/ج ٢٢/ص ١٤٤).

(٤) فَتْحُ الْبَيَانِ (١١/٢٢٧).

(٥) الْكَافِيَةُ الشَّافِيَّةُ (ص ٥٤).

تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبِ طَيِّبٍ، وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيَهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فُلُوهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»^(١).
فَلِلَّهِ مَا أَحْلَى هَذَا اللَّفْظَ وَأَوْجَزَهُ وَأَدَلَّهُ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ ﷻ.

٢ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي أَرْبَعًا بَعْدَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ قَبْلَ الظُّهْرِ، فَقَالَ: «إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأُحِبُّ أَنْ يَصْعَدَ لِي فِيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ»^(٢).

٣ - عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ، مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ؟ قَالَ: «ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»^(٣).

٤ - عَنْ رِفَاعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّيْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَعَطَسْتُ فَقُلْتُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ مُبَارَكًا عَلَيْهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى. فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْصَرَفَ فَقَالَ: «مَنِ الْمُتَكَلِّمُ فِي الصَّلَاةِ؟» فَلَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَهَا الثَّانِيَةَ: «مَنِ الْمُتَكَلِّمُ فِي الصَّلَاةِ؟» فَلَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ ثُمَّ قَالَهَا الثَّالِثَةَ: «مَنِ الْمُتَكَلِّمُ فِي الصَّلَاةِ؟» فَقَالَ رِفَاعَةُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «كَيْفَ قُلْتَ؟» قَالَ: قُلْتُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، مُبَارَكًا عَلَيْهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ ابْتَدَرَهَا بِضِعَّةٍ وَثَلَاثُونَ مَلَكًا أَيُّهُمْ يَصْعَدُ بِهَا»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٠)، ومسلم (١٠١٤).

(٢) رواه الترمذي (٤٧٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣٩٦).

(٣) رواه النسائي (٢٣٥٧)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن النسائي» (٢٢٢١).

(٤) رواه أبو داود (٧٧٠)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٧٠٠).

٥ - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ : « ... وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ » ^(١) .

٦ - عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ ، وَلَا يَنبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ ، حِجَابُهُ النُّورُ » ^(٢) ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ » ^(٣) .

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَحِجَابُهُ نُورٌ فَلَوْ كُشِفَ الْحِجَابُ بُلُّ لَأَحْرَقَ السُّبُحَاتُ لِلْأَكْوَانِ ^(٤) فإذا كانت سُبُحَاتُ وَجْهِهِ الْأَعْلَى لَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ ، وَلَوْ كَشَفَ حِجَابُ النُّورِ تِلْكَ السُّبُحَاتِ ، لَأَحْرَقَ الْعَالَمُ الْعُلُويَّ وَالسُّفْلِيَّ ، فَمَا الظَّنُّ بِجَلَالِ ذَلِكَ الْوَجْهِ الْكَرِيمِ وَعَظَمَتِهِ وَكِبْرِيائِهِ وَكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ ؟! ^(٥) .

٧ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ

(١) قطعة من حديث رواه البخاري (١٤٩٦) و (٢٤٤٨) ، ومسلم (١٩) .

(٢) عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سألتُ رسولَ الله ﷺ : هل رأيت ربَّكَ ؟ قال : «رَأَيْتُ نُورًا» . وفي رواية : «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ» رواه مسلم (١٧٩) .

قال ابن أبي العز الحنفى رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح الطحاوية» (١/٢٢٤) : فيكون - والله أعلم - معنى قوله لأبي ذر : «رَأَيْتُ نُورًا» أَنَّهُ رَأَى الْحِجَابَ ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ : «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ» : النور هو الحجابُ يمنعُ من رؤيته ، فَأَنَّى أَرَاهُ : أي : فكيف أراه والنور حجابٌ بيني وبينه يمنعني من رؤيته! .

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٣) .

(٤) الكافية الشافية (ص ٢٤٩) .

(٥) الصواعق (ص ١٠٨٣) .

وَتَعَالَى مَلَائِكَةُ سَيَّارَةٍ فَضُلًا يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ، قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنَحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعَدُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ -: مَنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيَسْأَلُونَكَ. قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيُّ رَبِّ! قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ. قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ. فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجْرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا. قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ إِنَّمَا مَرَّ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ، فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ، هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ^(١).

هذا حديثٌ صحيحٌ جليلٌ القدرِ وكثيرُ الفائدةِ، وهو حسنُ الألفاظِ لطيفُ المعاني، و«فيه إثباتُ جهةِ العلوِّ والفوقِ، لله تعالى»^(٢).

٨ - عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِذَا مَكَثَ الْمَنِيُّ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، أَتَاهُ مَلَكُ النَّفْسِ، فَعَرَجَ بِهِ إِلَى الرَّبِّ فِي رَاحَتِهِ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ! عَبْدُكَ هَذَا ذَكَرْتُ أَمْ أَنْثَى؟ فَيَقْضِي اللَّهُ إِلَيْهِ مَا هُوَ قَاضٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ! أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَيَكْتُبُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَا هُوَ لَاقٍ» وتلا أبو ذرٌّ مِنْ فَاتِحَةِ التَّغَابُنِ خَمْسَ آيَاتٍ^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٢٦٨٩).

(٢) السراج الوهاج (٥٦٧/١٠).

(٣) رواه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٩٤)، وابن جرير (٢٦٤٨٩) بسند صحيح.

الخامس:

التَّصْرِيحُ برفعِهِ بعضَ المخلوقاتِ إِلَيْهِ ﷻ.

قالَ اللهُ ﷻ: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وقالَ عزَّ وجلَّ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

السادس:

التَّصْرِيحُ بالعلوِّ المطلقِ الدَّالِّ على جميعِ مراتبِ العلوِّ،

ذاتاً وقَدراً وقَهراً.

قالَ ﷻ: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]. ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]. ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]. ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].
قالَ ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللهُ: تعالى: الذي هو دالٌّ على كمالِ العلوِّ ونهايته^(١).

وفسَّرَ الطبريُّ (العليَّ): بالعلوِّ والارتفاع^(٢).

وقالَ ابنُ خزيمةَ رَحِمَهُ اللهُ: الأعلى: مفهومٌ في اللُّغة أَنَّهُ أَعْلَى كُلِّ شيءٍ، وفوقَ كُلِّ شيءٍ. واللهُ قد وصفَ نفسه في غيرِ موضعٍ من تنزيله، وأَعْلَمْنَا أَنَّهُ العَلِيُّ العَظِيمُ. أفليسَ العَلِيُّ - يا ذوي الحِجَى - ما يكونُ عالياً؟!^(٣).

قالَ ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللهُ:

ولهُ العلوُّ من الوجوهِ جميعِها ذاتاً وقَهراً مع علوِّ الشَّانِ
لكنْ نَفاءً علُوهُ سَلْبُوهُ إك مالِ العلوِّ فصارَ ذا نُقْصَانِ

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٤١١) [مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، الطبعة الأولى].

(٢) جامع البيان (م ٣/ ج ٢ ص ١٩) و (م ١٣/ ج ٢٥ ص ٥٩).

(٣) التوحيد (ص ١١٢).

حَاشَاهُ مِنْ إِفْكِ النُّفَاةِ وَسَلْبِهِمْ فَلَهُ الْكَمَالُ الْمَطْلُوقُ الرَّبَّانِي^(١)

فَعَلُوا الذَّاتِ: هُوَ أَنَّهُ مَسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، فَوْقَ جَمِيعِ خَلْقِهِ، مَبَايِنٌ لَهُمْ، وَهُوَ مَعَ هَذَا مَطَّلِعٌ عَلَى أَحْوَالِهِمْ، مُشَاهِدٌ لَهُمْ، مُدَبِّرٌ لَأُمُورِهِمُ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، مُتَكَلِّمٌ بِأَحْكَامِهِ الْقَدْرِيَّةِ وَتَدْبِيرَاتِهِ الْكُونِيَّةِ وَأَحْكَامِهِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَأَمَّا عَلُوُّ الْقَدْرِ: فَهُوَ أَنَّ صِفَاتَهُ كُلَّهَا صِفَاتُ كَمَالٍ، وَلَهُ مِنْ كُلِّ وَصْفٍ وَنَعْتٍ أَكْمَلُهُ وَغَايَتُهُ.

وَأَمَّا عَلُوُّ الْقَهْرِ: فَهُوَ قَهْرُهُ تَعَالَى لَجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، فَالْعَالَمُ الْعُلَوِيُّ وَالسُّفْلِيُّ كُلُّهُمُ خَاضِعُونَ لِعَظَمَتِهِ مُفْتَقِرُونَ إِلَيْهِ فِي كُلِّ شَأْنِهِمْ^(٢).

السابع: التَّصْرِيحُ بِتَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنْهُ ﷺ.

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]. ﴿تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]. ﴿تَنْزِيلُ مِنَ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]. ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: ٢]. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا لَهُمُ الْكِتَابُ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤]. ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [غافر: ٢]. ﴿تَنْزِيلُ مِنَ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة: ٨٠]. ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٠٢].

وَأَفَادَ كَوْنُهُ تَنْزِيلًا مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَطْلُوبِينَ عَظِيمِينَ مِنْ أَجْلِ مَطَالِبِ الدِّينِ:

(١) الكافية الشافية (ص ١٠٤).

(٢) توضيح الكافية الشافية (ص ١٨٠ - ١٨١)، طبعة أضواء السلف.

(أحدهما): أَنَّهُ الْمُتَكَلِّمُ، وَأَنَّهُ مِنْهُ نَزَلَ، وَمِنْهُ بَدَأَ وَهُوَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ .
 (والثاني): عَلُوُّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَوْقَ خَلْقِهِ، فَإِنَّ النُّزُولَ وَالتَّنْزِيلَ الَّذِي
 تَعْقِلُهُ الْعُقُولُ، وَتَعْرِفُهُ الْفِطْرُ: هُوَ وَصُولُ الشَّيْءِ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلَ .
 وَالرَّبُّ تَعَالَى إِنَّمَا يَخَاطَبُ عِبَادَهُ بِمَا تَعْرِفُهُ فِطْرُهُمْ، وَتَشْهَدُ بِهِ
 عُقُولُهُمْ .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ :

والله أَخْبَرَنَا بِأَنَّ كِتَابَهُ تَنْزِيلُهُ بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ
 أَيْ كَوْنُ تَنْزِيلِهِ وَلَيْسَ كَلَامَ مَنْ فَوْقَ الْعِبَادِ أَذَاكَ ذُو إِمْكَانٍ
 أَيْ كَوْنُ تَنْزِيلِهِ مِنَ الرَّحْمَنِ وَالرَّحْمَنِ حَمْنٌ لَيْسَ مَبَايِنَ الْأَكْوَانِ^(١)

الثامن: التَّصْرِيحُ بِاخْتِصَاصِ بَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ بِأَنَّهَا عِنْدَهُ، وَأَنَّ
 بَعْضَهَا أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ بَعْضٍ .

قال ﷺ: ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا
 يَسْأَمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨]. ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
 عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩]. ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي
 الْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]. ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ [٥٤] فِي مَقْعَدٍ صَدِيقٍ عِنْدَ
 مَلِكٍ مُقْنَدٍ ﴿[القمر: ٥٤ - ٥٥]. ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ
 صَدِيقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢١]. ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ
 عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

فَدَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ الَّذِينَ عِنْدَهُ هُمْ قَرِيبُونَ إِلَيْهِ وَ«لَوْ كَانَ
 مُوجِبُ الْعِنْدِيَةِ مَعْنَى عَامًّا، كَدُخُولِهِمْ تَحْتَ قُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ:

(١) الكافية الشافية (ص ١٠٩ - ١١٠).

لَكَانَ كُلُّ مَخْلُوقٍ عِنْدَهُ؛ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مُسْتَكْبِرًا عَنْ عِبَادَتِهِ، بَلْ مُسَبِّحًا لَهُ سَاجِدًا، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] وَهُوَ سُبْحَانُهُ وَصَفَ الْمَلَائِكَةَ بِذَلِكَ رَدًّا عَلَى الْكَفَّارِ الْمُسْتَكْبِرِينَ عَنْ عِبَادَتِهِ^(١).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

لَوْ لَمْ يَكُنْ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْوَرَى كَانُوا جَمِيعًا عِنْدَ ذِي السُّلْطَانِ وَيَكُونُ عِنْدَ اللَّهِ إِبْلِيسُ وَجِب رِيْلُ هُمَا فِي الْعِنْدِ مُسْتَوِيَانِ^(٢) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

قَالَ مَسْرُوقٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. قَالَ: أَمَّا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ - يَعْنِي: النَّبِيُّ ﷺ -: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اِطْلَاعَةً فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟»^(٣).

وَقَالَ ابْنُ خُزَيْمَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَكُلُّ مَنْ لَهُ فَهْمٌ بِلُغَةِ الْعَرَبِ، يَعْلَمُ أَنَّ اِطْلَاعَهُ إِلَى الشَّيْءِ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلٍ. وَلَوْ كَانَ كَمَا زَعَمَتِ الْجَهْمِيَّةُ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْإِنْسَانِ وَأَسْفَلُ مِنْهُ، وَفِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ

(١) مجموع الفتاوى (٥/١٦٥ - ١٦٦).

(٢) الكافية الشافية (ص ١١٢).

(٣) رواه مسلم (١٨٨٧).

السفلى كما هو في السماء السابعة، لم يكن لقوله: «فَيَطْلُعُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ أَطْلَاعَةً» معنى^(١).

وَتَدَبَّرِ الْأَحَادِيثَ التَّالِيَةَ:

١ - عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَلَا تَصِفُونَ كَمَا تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَكَيْفَ تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُولَى وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ»^(٢).

٢ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَعَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»^(٣).

٣ - عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمَلَ فِيمَا عَلِمَ»^(٤).

٤ - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَأَيْتُنِي اللَّيْلَةَ وَأَنَا نَائِمٌ، كَأَنِّي أَصْلِي خَلْفَ شَجَرَةٍ، فَسَجَدْتُ فَسَجَدَتِ الشَّجَرَةُ لِسُجُودِي، فَسَمِعْتُهَا وَهِيَ تَقُولُ: «اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وَزْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا،

(١) التوحيد (ص ٣٨١).

(٢) رواه مسلم (٤٣٠).

(٣) رواه مسلم (٢٧٠٠).

(٤) رواه الترمذي (٢٤١٦)، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن الترمذي» (١٩٦٩).

وتَقَبَّلَهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلَتْهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ»^(١).

٥ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاحِشَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ. فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ. فَقَالَ خَلَّنِي وَرَبِّي أَبْعَثَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ! لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ - أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ! - فَقَبِضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا، أَوْ كُنْتَ عَلَيَّ مَا فِي يَدَيَّ قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَكَلِّمَ بِكَلِمَةٍ أُوبِقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتُهُ»^(٢).

٦ - عَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ مِمَّا تَذْكُرُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ وَالتَّهْلِيلَ لِيَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيُّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، يُذَكِّرْنَ بِصَاحِبِهِنَّ. أَفَلَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ؟!»^(٣).

فَانظُرْ مَا تَضَمَّنَهُ هَذَا الْكَلَامُ الْوَجِيزُ الْبَلِیْغُ الْمَشْتَمِلُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى الْعَظِيمِ الْجَلِيلِ الَّذِي لَا يَجْدُ سَامِعُهُ مَغْمَزًا لَهُ وَلَا مَطْعَنًا فِيهِ وَلَا تَشْكِيكًَا وَلَا سُؤَالَ يوردهُ عَلَيْهِ، بَلْ يَأْخُذُ بِقَلْبِهِ وَسَمْعِهِ»^(٤).

(١) رواه الترمذي (٥٨٤)، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٤٧٣).

(٢) رواه أبو داود (٤٩٠١)، وصححه المحدث الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٠٩٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٩)، والحاكم (٥٠٣/١) وصححه على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وصححه المحدث الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٠٧١).

(٤) الصواعق (ص ٤٨٣).

٧ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي»^(١).

قَالَ ابْنُ خَزِيمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَالْخَبْرُ دَالٌّ عَلَى أَنَّ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلَا فَوْقَ عَرْشِهِ الَّذِي كَتَبَهُ - أَنَّ رَحْمَتَهُ غَلَبَتْ غَضَبَهُ - عِنْدَهُ^(٢).

وَقَالَ صَدِّيقُ حَسَنِ خَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى الْعِنْدِيَّةِ وَالْعُلُوِّ وَالْفَوْقِيَّةِ. وَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِهِ، بَلَا كَيْفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، وَلَا نُنْكِرُهُ، وَلَا نُؤَوِّلُهُ كَأَهْلِ الْكَلَامِ. وَهَذَا هُوَ سَبِيلُ السَّلَفِ فِي مَسَائِلِ الصِّفَاتِ.

وَالْحَدِيثُ: دَلِيلٌ عَلَى سَبْقِ الرَّحْمَةِ وَغَلَبَتِهَا عَلَى الْغَضَبِ وَالسُّخْطِ. وَهَذَا هُوَ اللَّائِقُ بِشَأْنِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ. وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكُنَّا جَمِيعًا خَاسِرِينَ هَالِكِينَ. نَعُودُ بِاللَّهِ مَنْ غَضِبَ اللَّهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ مَنْ سَخَطَهُ. وَنَرْجُو رَحْمَتَهُ وَكَرَمَهُ وَفَضْلَهُ وَلُطْفَهُ. وَمَا أَحَقُّهُ بِذَلِكَ^(٣).

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَأَذْكُرُ حَدِيثًا فِي الصَّحِيحِ تَضَمَّنَتْ	كَلِمَاتُهُ تَكْذِيبَ ذِي الْبُهْتَانِ
لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلِيقَةَ رَبَّنَا	كَتَبَتْ يَدَاهُ كِتَابَ ذِي الْإِحْسَانِ
وَكِتَابُهُ هُوَ عِنْدَهُ وَضَعُ عَلَى الْ-	عَرْشِ الْمَجِيدِ الثَّابِتِ الْأَرْكَانِ
إِنِّي أَنَا الرَّحْمَنُ تَسْبِقُ رَحْمَتِي	غَضَبِي وَذَاكَ لِرَأْفَتِي وَحَنَانِي ^(٤) .

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٤) و(٧٤٠٤) و(٧٤٢٢) و(٧٤٥٣) و(٧٥٥٣) و(٧٥٥٤)، ومسلم (٢٧٥١).

(٢) التوحيد (ص ١٠٥).

(٣) السراج الوهاج (١١/٦٢ - ٦٣).

(٤) الكافية الشافية (ص ١٤٢).

قال الشيخ الغنيان حفظه الرحمن: والحق أن قوله: «عنده فوق عرشه» على ظاهره، وأن كل تأويل له عن ظاهره، تبديل للمعنى الذي أرادَه رسولُ الله ﷺ، ونحن نؤمنُ إيماناً يقيناً قاطعاً وكلُّ المؤمنين أن الرسولَ أحرصُ على عقيدة المسلمين، وعلى تنزيه الله - تعالى - من هؤلاء المحرِّفينَ لكلامه. وهو كذلك أقدرُ على البيان والإيضاح منهم، وهو كذلك أعلمُ بالله، وما يجبُ له وما يمتنعُ عليه من هؤلاء المتخبطين.

فهذا كتابٌ خاصٌّ، وضعه عنده فوق عرشه، مثبتاً فيه ما ذكر، لزيادة الاهتمام به، ولا ينافي ذلك أن يكون مكتوباً أيضاً في اللوح المحفوظ. وهو كتابٌ حقيقة، كتبه - تعالى - كما ذكر لنا رسولنا حقيقة، وهو عند الله حقيقة، فوق عرشه حقيقة^(١).

التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ.

قال الله ﷻ: ﴿أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [١٦] أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ [الملك: ١٦ - ١٧].

والمرادُ بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]: الله عزَّ وجلَّ^(٢)، لقوله ﷻ: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَن يَخِفَّ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الإسراء: ٦٨]، ولقوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخِفَّ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٤٥].

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/٣٩١).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٧/٢٩)، طبعة دار الفكر - بيروت.

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَلَقَدْ أَتَى فِي سُورَةِ الْمُلْكِ الَّتِي تُنْجِي لِقَارِئَهَا مِنَ النَّيرانِ نَصَّانٍ أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ سَمَائِهِ عِنْدَ الْمُحَرِّفِ مَا هُمَا نَصَّانٍ^(١) وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَقَوْلُهُ : ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك : ١٦] ، مِنْ تَوَهُّمٍ أَنَّ مَقْتَضَى هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ يَكُونُ اللَّهُ فِي دَاخِلِ السَّمَوَاتِ فَهُوَ جَاهِلٌ بِالِاتِّفَاقِ ، وَإِنْ كُنَّا إِذَا قُلْنَا : إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ فِي السَّمَاءِ يَقْتَضِي ذَلِكَ ، فَإِنَّ حَرْفَ «فِي» مُتَعَلِّقٌ بِمَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ فَهُوَ بِحَسَبِ الْمُضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ .

فَلَوْ قَالَ قَائِلٌ : الْعَرْشُ فِي السَّمَاءِ أَمْ فِي الْأَرْضِ ؟ لَقِيلَ : فِي السَّمَاءِ . وَلَوْ قِيلَ : الْجَنَّةُ فِي السَّمَاءِ أَمْ فِي الْأَرْضِ ؟ لَقِيلَ : الْجَنَّةُ فِي السَّمَاءِ ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ يَكُونَ الْعَرْشُ دَاخِلَ السَّمَوَاتِ بَلْ وَلَا الْجَنَّةُ . فَهَذِهِ الْجَنَّةُ سَقْفُهَا الَّذِي هُوَ الْعَرْشُ فَوْقَ الْأَفْلَاقِ مَعَ أَنَّ الْجَنَّةَ فِي السَّمَاءِ ، وَالسَّمَاءُ يُرَادُ بِهِ الْعُلُوُّ .

وَلَمَّا كَانَ قَدْ اسْتَقَرَّ فِي نَفُوسِ الْمُخَاطَبِينَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى وَأَنَّهُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ كَانَ الْمَفْهُومُ مِنْ قَوْلِهِ : «مَنْ فِي السَّمَاءِ» ، أَنَّهُ فِي الْعُلُوِّ وَأَنَّهُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ .

وَإِذَا قِيلَ : «الْعُلُوُّ» فَإِنَّهُ يَتَنَاوَلُ مَا فَوْقَ الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا ، فَمَا فَوْقَهَا كُلِّهَا هُوَ فِي السَّمَاءِ ، وَلَا يَقْتَضِي هَذَا أَنَّ يَكُونَ هُنَاكَ ظَرْفٌ وَجُودِيٌّ يَحِيطُ بِهِ ، إِذْ لَيْسَ فَوْقَ الْعَالَمِ شَيْءٌ مَوْجُودٌ إِلَّا اللَّهُ ، كَمَا لَوْ قِيلَ : إِنَّ الْعَرْشَ فِي السَّمَاءِ فَإِنَّهُ لَا يَقْتَضِي أَنَّ يَكُونَ الْعَرْشُ فِي شَيْءٍ آخَرَ مَوْجُودٍ مَخْلُوقٍ . وَإِذَا قُدِّرَ أَنَّ السَّمَاءَ الْمُرَادُ بِهَا الْأَفْلَاقُ ، كَانَ الْمُرَادُ أَنَّهُ عَلَيْهَا كَمَا

(١) الكافية الشافية (ص ١٤٠) .

قَالَ: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، وَقَالَ: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٣٧] ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢]. وَيُقَالُ: فَلَانٌ فِي الْجَبَلِ وَفِي السَّطْحِ، وَإِنْ كَانَ عَلَى أَعْلَى شَيْءٍ فِيهِ^(١).

قال الحافظ الذهبي رحمه الله: وكونه - عز وجل - في السماء متواتر عن رسول الله ﷺ تواتراً لفظياً، فَمِنْ ذَلِكَ^(٢):

١ - عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قَبْلَ أَحَدٍ وَالْجَوَانِيَّةِ. فَاطْلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّئْبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، آسَفٌ كَمَا يَأْسِفُونَ، لَكِنِّي صَكَّكْتُهَا صَكَّةً. فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: «أَنْتَنِي بِهَا». فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ لَهَا: «أَيْنَ اللَّهُ؟»، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «مَنْ أَنَا؟»، قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: «أُعْتِقُهَا فَإِنَّهَا مُؤَمِّنَةٌ»^(٣).

قال الشيخ الهَرَّاسُ رحمه الله: هذا حديثٌ يَتَأَلَّقُ نَصَاعَةً ووضوحاً وهو صاعقةٌ على رؤوسِ أهلِ التَّعْطِيلِ. فهذا رجلٌ أخطأ في حقِّ جاريته بضربها فأراد أنْ يكفِّرَ عَنْ خَطِيئَتِهِ بِعَتَقِهَا، فاستمهله الرسول ﷺ حتَّى يمتحنَ إيمانها، فكان السؤالُ الذي اختاره لهذا الامتحانِ هوَ (أَيْنَ اللَّهُ؟) ولمَّا أجابتْ بأنَّه في السَّمَاءِ، رضيَ جوابها وشهدَ لها بالإيمانِ، ولو أنَّكَ قلتَ لمعطلٍ: أَيْنَ اللَّهُ؟ لحكمَ عليك بالكفرانِ^(٤).

(١) الرسالة التدمرية (ص ٨٥ - ٨٩)، تحقيق محمد بن عودة السعوي.

(٢) الأربعين في صفات ربِّ العالمين (ص ٥٣ - ٥٤) للذهبي، طبعة مكتبة العلوم والحكم - المدينة النبوية - الأولى.

(٣) أخرجه مسلم (٥٣٧).

(٤) تعليقات الشيخ الهَرَّاس على كتاب «التوحيد» لابن خزيمة، (ص ١٢١ - ١٢٢).

ويُستفادُ من حديثِ الجاريةِ ما يلي:

أولاً: شرعيّة قولِ المسلم: أينَ الله؟^(١). ومَن أَجْهَلُ جهلاً، وأَسْخَفُ عقلاً، وأَضَلُّ سبيلاً، مَمَّن يَقُولُ: إِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: أينَ الله!! بعدَ تصرّيحِ صاحبِ الشّريعة بقوله: «أَيْنَ اللهُ؟!»^(٢).

ثانياً: شرعيّة قولِ المسؤول: في السّماء. فأقرَّ النبي ﷺ الجاريةَ على ذلك، فلو كانَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ فِي السّماء، لَبَيَّنَ لها النبي ﷺ، لأنَّهُ لَا يَجُوزُ لَهُ الإقرارُ على الخطأ، لَا سِيَّما وَكانَ ذلكَ بحضورِ جماعةٍ مِنَ النَّاسِ^(٣).

قال شيخُ الاسلام رَحِمَهُ اللهُ: والنبي ﷺ مُنَزَّهٌ أَنْ يَسْأَلَ سؤْلاً فاسداً، وسمعَ الجوابَ عَنْ ذلكَ، وهو مُنَزَّهٌ أَنْ يُقَرَّ عَلَى جوابٍ فاسدٍ^(٤).

ثالثاً: وفيهِ دليلٌ على أَنَّ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي السّماءِ فليسَ بمؤمنٍ. ألا ترى أَنَّ رسولَ الله ﷺ حَكَمَ بِإيمانِ الجاريةِ لَمَّا أَقَرَّتْ بِأَنَّ رَبَّها فِي السّماء، وَعَرَفَتْ رَبَّها بِصفةِ العلوِّ والفوقيّة^(٥).

رابعاً: وفيهِ دليلٌ على أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ على عرشِهِ فوقَ السّماءِ^(٦).

(١) العلو (٣٣٢/١) للحافظ الذهبي، تحقيق: الشيخ عبد الله بن صالح البراك.

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد (ص٨٩)، للحافظ: تقي الدين عبد الغني المقدسي.

(٣) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (٢/٦٢٤)، للعلامة: يحيى بن أبي الخير العمراني.

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٣/٣١٥).

(٥) انظر: الرد على الجهمية (ص٣٩)، للدارمي.

(٦) انظر: الإبانة (ص٧٦)، وعقيدة السلف أصحاب الحديث (ص٣٠)، و الحجّة في بيان المحجّة (٢/١١٥).

وقال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله - في معنى حديث الجارية - :
وأما قوله في هذا الحديث للجارية: «أَيْنَ اللهُ؟»، فعلى ذلك جماعة
أهل السنة، وهم أهل الحديث، ورواته المتفقون فيه، وسائر نقلته،
كلهم يقول ما قال الله تعالى في كتابه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]،
وأن الله عز وجل في السماء وعلمه في كل مكان، وهو ظاهر
القرآن في قوله عز وجل: ﴿أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ﴾
[الملك: ١٦]، وبقوله عز وجل: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ
يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].
ومثل هذا كثير في القرآن.. وليس في الحديث معنى يُشكِلُ غير ما
وصفنا.

ولم يزل المسلمون إذا دهمهم أمرٌ يُقلقهم فزعوا إلى ربهم،
فرفعوا أيديهم وأوجههم نحو السماء يدعونه، ومخالفونا ينسبونا في
ذلك إلى التشبيه، والله المستعان. ومن قال بما نطق به القرآن، فلا
عيب عليه عند ذوي الألباب^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والجارية التي قال لها
النبي صلى الله عليه وسلم: «أَيْنَ اللهُ؟»، قالت: في السماء. قال: «أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ».
وإنما أخبرت عن الفطرة التي فطرها الله تعالى عليها، وأقرها النبي صلى الله عليه وسلم
على ذلك، وشهد لها بالإيمان. فليتأمل العاقل ذلك يجد هادياً له على
معرفة ربه، والإقرار به كما ينبغي، لا ما أحدثه المتعمقون والمتشدقون
ممن سؤل لهم الشيطان وأملى لهم^(٢).

(١) الاستذكار (٢٣/١٦٧ - ١٦٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/٦٢).

وقال رحمه الله: والجارية لما قال لها: «أين الله؟» قالت: «في السماء»، إنما أرادت العلو مع عدم تخصيصه بالأجسام المخلوقة وحلوله فيها^(١).
 ٢ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده! ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها، فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها، حتى يرضى عنها»^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله:

واذكر حديثاً في الصحيح وفيه تحذير لذات البعل من هجران من سخط رب في السماء على التي هجرت بلا ذنب ولا عدوان^(٣)
 وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: وفي هذا الحديث دليل صريح لما ذهب إليه أهل السنة والجماعة وسلف الأمة من أن الله عز وجل في السماء هو نفسه جل وعلا، فوق عرشه، فوق سبع سموات، وليس المراد بقوله: «في السماء» أي ملكه في السماء، بل هذا تحريف للكلم عن مواضعه.

وتحريف الكلم عن مواضعه من صفات اليهود والعياذ بالله، الذين حرفوا التوراة عن مواضعها وعمّا أراد الله بها، فإن ملك الله ﷻ في السماء وفي الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٨٩]^(٤).

٣ - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا

(١) مجموع الفتاوى (٥٣/٣).

(٢) رواه مسلم (١٤٣٦).

(٣) الكافية الشافية (ص ١٤٥).

(٤) شرح رياض الصالحين (١٦٥/٥).

تَأْمُنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ! يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحاً وَمَسَاءً؟!«^(١).
فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز البين^(٢) الدال على
عُلُوِّ اللهِ ﷻ.

٤ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَيِّتُ
تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَالِحاً، قَالُوا: اخْرُجِي أَتِيهَا النَّفْسُ
الطَّيِّبَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ. اخْرُجِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ
وَرَبِّ غَيْرِ غَضَبَانٍ. فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ، حَتَّى تَخْرُجَ، ثُمَّ يَعْرَجُ بِهَا
إِلَى السَّمَاءِ فَيُفْتَحُ لَهَا فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانٌ. فَيُقَالُ: مَرْحَباً
بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ. ادْخُلِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ
وَرِيحَانٍ وَرَبِّ غَيْرِ غَضَبَانٍ. فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى
السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ»^(٣).

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعليقا على هذا الحديث: قوله:
«فِيهَا اللهُ»، بمنزلة قوله تعالى: ﴿ءَأْمَنُكُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ
فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾^(١٦) أَمْ أَمِنُكُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمُونَ
كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿١٧﴾ [الملك: ١٦ - ١٧]. وبمنزلة ما ثبت في الصحيح أن
النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَجَارِيَةٍ مَعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ: «أَيْنَ اللهُ؟»، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ.
وليس المراد بذلك: أَنَّ السَّمَاءَ تَحْضُرُ الرَّبَّ وتُحْوِيهِ، كما تحوي

(١) رواه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤).

(٢) الصواعق (ص ٤٦٣).

(٣) أخرجه أحمد (٣٦٤/٢)، وابن ماجه (٤٢٦٢) وقال البوصيري في «زوائد
ابن ماجه» (١٤٥١): «إسناد صحيح، رجاله ثقات». وصححه المحدث
الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٤٣٧).

الشَّمْسَ والقَمَرَ وغيرَهُما، فَإِنَّ هَذَا لَا يَقُولُهُ مُسْلِمٌ، وَلَا يَعْتَقِدُهُ عَاقِلٌ - فَقَدْ قَالَ ﷺ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَالسَّمَاوَاتُ فِي الْكَرْسِيِّ كَحَلْقَةِ مُلْقَاةٍ فِي أَرْضِ فَلَاةٍ، وَالْكَرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ كَحَلْقَةِ مُلْقَاةٍ فِي أَرْضِ فَلَاةٍ، وَالرَّبُّ سَبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ، عَلَى عَرْشِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، لَيْسَ فِي مَخْلُوقَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَاتِهِ، وَلَا فِي ذَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ - بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ، وَعَلَيْهَا، بَائِنٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، كَمَا أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤] وَقَالَ: ﴿يَعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]. وَقَالَ: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]. وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ^(١).

٥ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ. ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ»^(٢).

فَإِنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: «يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ»، هُوَ اللَّهُ ﷻ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»^(٣). فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَقَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ بِلَفْظٍ: «ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ أَهْلُ السَّمَاءِ»^(٤).

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٧١ - ٢٧٢).

(٢) رواه الترمذي (١٩٢٤)، وصححه الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» (١٥٦٩).

(٣) أخرجه البخاري (٧٣٧٦)، ومسلم (٢٣١٩).

(٤) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٠) (٦٤٩٤) - بترقيم أحمد شاكر وقال: إسناده صحيح. راجع: «السلسلة الصحيحة» (٩٢٥).

والجوابُ أن يقال: الروايةُ الأولى أولى بالصواب كما قال الحافظُ ابنُ حجرٍ في «الإمتاع» (ص ٦٦). وقال في معنى الحديث: إِنَّ مَنْ يَرْحَمُ مَنْ فِي الْأَرْضِ قَدْ أَنْ أَنْ يَرْحَمَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ فَارْحَمِ الْخَلْقَ جَمِيعاً إِنَّمَا يَرْحَمُ الرَّحْمَنُ فِينَا الرَّحِمَا

العاشر: شهادته ﷺ التي هي أصدق شهادة عند الله وملائكته وجميع المؤمنين لمن قال: «إِنَّ رَبَّهُ فِي السَّمَاءِ» بالإيمان، وشهد عليه أفرأخ جهنم بالكفر.

وصرح الشافعي بأن هذا الذي وصفته من أن ربها في السماء إيمان، فقال في كتابه^(١) في «باب عتق الرقبة المؤمنة»، وذكر حديث الأمة السوداء التي سودت وجوه الجهمية، وبيضت وجوه المحمدية، فلما وصفت الإيمان قال: «أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»، وهي إنما وصفت كون ربها في السماء، وأن محمداً عبده ورسوله، فقرنت بينهما في الذكر، فجعل الصادق المصدوق مجموعهما هو الإيمان^(٢).

قال شيخ الإسلام الصابوني رحمه الله: وإنما احتج الشافعي - رحمه الله عليه - على المخالفين... بهذا الخبر لا اعتقاده أن الله سبحانه فوق خلقه وفوق سبع سمواته على عرشه كما هو معتقد المسلمين أهل السنة والجماعة سلفهم وخلفهم، إذ كان ﷺ لا يروي خبراً صحيحاً لا يقول به^(٣).

(١) الأم (٢٩٨/٥).

(٢) إعلام الموقعين (٣١٦/٢).

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص ٤٣).

وقال الحافظ إسماعيل بن محمد التيمي رحمه الله: فحكم النبي صلى الله عليه وسلم بإيمانها حين قالت: إن الله في السماء، وتحكم الجهمية بكفر من يقول ذلك^(١).

وقال ابن القيم رحمه الله:

وَأَذْكُرُ شَهَادَتَهُ لِمَنْ قَدْ قَالَ رَبِّ
وَشَهَادَةَ الْعَدْلِ الْمَعْطَلِ لِلَّذِي
وَأَحْكُمُ بَأْيَهُمَا تَشَاءُ وَإِنِّي
إِنْ كُنْتَ مِنْ أَتْبَاعِ جَهَنَّمَ صَاحِبِ اللَّهِ
ي فِي السَّمَاءِ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ
قَدْ قَالَ ذَا بِحَقِيقَةِ الْكُفْرَانِ
لَأَرَاكَ تَقْبَلُ شَاهِدَ الْبُطْلَانِ
عُطِيلِ وَالْبُهْتَانِ وَالْعُدْوَانِ^(٢)

الحادي عشر: التصريح بالاستواء مقروناً بأداة «على» مختصاً

بالعرش - الذي هو أعلى المخلوقات وأنزهها وأطهرها وأنورها
وأشرفها ذاتاً وقدرًا وأوسعها - مصاحباً في الأكثر لأداة «ثم» الدالة على
الترتيب والمهلة.

قال رحمه الله - وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا؟ - : ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾
[السجدة: ٤] ^(٣).

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/١١٥).

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (ص ١٤٣).

(٣) قال ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين» (١/٤٢ - ٤٣): «الرحمن: الذي الرحمة وصفه. والرحيم: الراحم لعباده. ولهذا يقول تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] ﴿إِنَّهُمْ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]، ولم يجيء رحمن بعباده، ولا رحمن بالمؤمنين، مع ما في اسم «الرحمن» الذي هو على وزن فعْلان من سعة هذا الوصف، وثبوت جميع معناه الموصوف به. ألا ترى أنهم يقولون: غضبان، للممتلئ غضباً، ونَدَمَانٌ وحَيْرَانٌ وسَكْرَانٌ ولَهْفَانٌ لمن ملء بذلك، فبناء فعْلان للسعة والشمول. ولهذا يقرن استواؤه على العرش بهذا الاسم =

وقال ﷺ في وصف كتابه العزيز: ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ
الْعُلَى﴾ ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ﴿٥﴾ [طه: ٤ - ٥].

وقد فسر الطبري رحمه الله الاستواء: بالعلو والارتفاع^(١).

وقال مجاهد رحمه الله: «استوى: علا على العرش»^(٢).

وقال سفيان الثوري: كنت عند ربيعة بن أبي عبد الرحمن فسأله رجل فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟ فقال: «الاستواء غير مجهول، كيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التّصديق»^(٣).

وقال رجل للإمام مالك: يا أبا عبد الله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ
أَسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟ قال: «كيف غير معقول، الاستواء

= كثيراً فاستوى على عرشه باسم الرحمن، لأن العرش محيط بالمخلوقات، وقد وسعها. والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات. فلذلك وسعت رحمته كل شيء. وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ، فَهُوَ عِنْدَهُ مَوْضِعُ عَلَى الْعَرْشِ. إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي».

فتأمل اختصاص هذا الكتاب بذكر الرحمة، ووضعُه عنده على العرش، وطابق بين ذلك وبين قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه: ٥]، وقوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَّكَلُ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، يَنْفَتَحُ لك بابٌ عظيمٌ من معرفة الربّ تبارك وتعالى.

(١) انظر: جامع البيان (١/١٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٤١٤/١٣) معلقاً، وصحح إسناده ابن حجر في «تغليق التعليق» (٣٤٥٥/٥).

(٣) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ٩١)، وصححه.

منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإنني أخاف أن تكون ضالاً، وأمر به فأخرج»^(١).

قال الإمام الذهبي معقباً: «هذا ثابت عن مالك، وهو قول أهل السنة قاطبة: أن كيفية الاستواء لا نعقلها، بل نجعلها، وأن استواءه معلوم كما أخبر في كتابه، وأنه كما يليق به، لا نتمم ولا نتحلق، ولا نخوض في لوازم ذلك نفياً ولا إثباتاً، بل نسكت ونقف كما وقف السلف، ونعلم أنه لو كان له تأويل لبادر إلى بيانه الصحابة، والتابعون، ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت عنه، ونعلم يقيناً مع ذلك أن الله ﷻ لا مثل له في صفاته، ولا في استوائه، ولا في نزوله، ﷻ عما يقول الظالمون علواً كبيراً»^(٢).

وقال بشر بن عمر رضى الله عنه (٢٠٧هـ): «سمعت غير واحد من المفسرين يقولون: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، على العرش ارتفع»^(٣).

وقال يزيد بن هارون رضى الله عنه (٢٠٦هـ) وقيل له: من الجهمية؟ قال: «من زعم أن ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه: ٥] على خلاف ما يقر في قلوب العامة فهو جهمي»^(٤).

قال الإمام الذهبي رضى الله عنه معقباً: «(يقر): مخفف، و(العامة): مراده بهم جمهور الأمة وأهل العلم، والذي قر في قلوبهم من الآية هو ما

(١) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ٩٥٤) وقال: «هذا ثابت عن مالك».

(٢) العلو (ص ٩٥٤).

(٣) أخرجه الذهبي في العلو (ص ١٠١١)، وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص ١٦٠): «وهذا إسناد صحيح مسلسل بالثقات الحفاظ».

(٤) أخرجه أبو داود في «المسائل» (ص ٢٦٨) بسند جيد.

دلّ عليه الخطابُ معَ يقينهم بأنَّ المستوي ليسَ كمثله شيءٌ. هذا الذي وقرّ في فطرهم السَّليمة، وأذهانهم الصَّحيحة، ولو كان له معنى وراء ذلك، لتفوّهوا به ولما أهملوه، ولو تأوّل أحدٌ منهم الاستواء، لتوفّرت الهمم على نقله، ولو نُقلَ لاشتهر. فإن كان في بعض جهلة الأغبياء من يفهم من الاستواء ما يوجبُ نقصاً أو قياساً للشاهد على الغائب؛ وللمخلوق على الخالق، فهذا نادرٌ، فمن نطقَ بذلك زَجَرَ وعُلِمَ، وما أظنُّ أن أحداً من العامة يقرُّ في نفسه ذلك، والله أعلم^(١).

وقال إمام الأئمة ابن خزيمة رَحِمَهُ اللهُ (٣١١هـ): «فنحن نؤمنُ بخبرِ الله جلَّ وعلا أن خالقنا مستوٍ على عرشه، لا نبذلُ كلامَ الله ولا نقولُ قولاً غيرَ الذي قيلَ لنا، كما قالتِ المعطلةُ والجهميّةُ: إنّه استولى على عرشه لا استوى، فبدّلوا قولاً غيرَ الذي قيلَ لهم كفعلِ اليهودِ لما أمرُوا أن يقولوا: حِطَّةٌ، فقالوا: حِطَّةٌ، مخالفينَ لأمرِ الله جلَّ وعلا، كذلكِ الجهميّةُ»^(٢).

وقال العلامةُ الشنقيطيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وقد أشارَ تعالى في سورة الفرقانِ أن وصفَ الله بالاستواءِ صادرٌ عن خيرٍ بالله وبصفاته، عالمٌ بما يليقُ به، وبما لا يليقُ وذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْراً﴾ [الفرقان: ٥٩].

فتأملْ قوله: ﴿فَسَلِّ بِهِ خَيْراً﴾ [الفرقان: ٥٩]، بعدَ قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]، تعلمُ أن من وصفَ الرحمنَ بالاستواءِ على العرشِ خيرٌ بالرحمن وبصفاته لا يخفى عليه اللائقُ من الصفاتِ وغيرِ اللائقِ. فالذي نبأنا بأنّه استوى على عرشه هو العليمُ

(١) العلو (٢/١٠٣١).

(٢) كتاب التوحيد (ص ١٠١)، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت.

الخبير الذي هو الرحمن، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَنْبُتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾
[فاطر: ١٤].

وبذلك تعلم أن من يدعي أن الاستواء يستلزم التشبيه، وأنه غير لائق غير
خبير، نعم والله هو غير خبير^(١).

الثاني عشر: الإشارة إليه ﷺ حساً إلى العلو.

فلقد أشار النبي ﷺ - الذي هو أعلم بالله وبما يجب له، ويمتنع
عليه من جميع البشر - إلى الله ﷻ لما كان بالمجمع الأعظم الذي لم
يجتمع لأحد مثله، في اليوم الأعظم، في المكان الأعظم، قال لهم:
«وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَاذَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت
وأديت ونصحت^(٢). فرفع أصبعه الكريمة إلى السماء، رافعاً لها إلى من
هو فوقها وفوق كل شيء، قائلاً: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»^(٣). فكأننا نشاهد تلك
الأصبع الكريمة وهي مرفوعة إلى الله، وذلك اللسان الكريم وهو يقول
لمن رفع أصبعه إليه: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»، تحقيقاً لإثبات صفة العلو، وأن
الرب الذي استشهد به فوق العالم مستوٍ على عرشه، ونشهد أنه بلغ
البلاغ المبين، وأدى رسالة ربه كما أمر، ونصح أمته غاية النصيحة،

(١) أضواء البيان (٧/٤٦٨).

(٢) قال ابن القيم رحمه الله في «الصواعق» (ص ٧٣٣ - ٧٣٤): «فلو لم يكن قد عرف
المسلمون وتيقنوا ما أرسل به، وحصل لهم منه العلم اليقين، لم يكن قد حصل
منه البلاغ المبين، ولما رفع الله عنه اللوم، ولما شهد له أعقل الأمة بأنه قد بلغ
وبيّن. وغاية ما عند النفاة أنه بلغهم ألفاظاً لا تفيدهم علماً ولا يقيناً، وأحالهم
في طلب العلم واليقين على عقولهم، ونظرهم وأبحاثهم، لا على ما أوحى إليه،
وهذا معلوم البطلان بالضرورة».

(٣) قطعة من حديث جابر المطول في حجة النبي ﷺ، أخرجه مسلم (١٢١٨).

فلا يُحْتَاجُ مَعَ بَيَانِهِ وَتَبْلِيغِهِ وَكَشْفِهِ وَإِيضَاحِهِ إِلَى تَنْطَعِ الْمُتَنْطَعِينَ، وَحَذَلَّةِ الْمُتَحَذَلِينَ! وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(١).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ أَشَارِ رَسُولِهِ
فِي مَجْمَعِ الْحَقِّ الْعَظِيمِ بِمَوْقِفٍ
مَنْ قَالَ مِنْكُمْ مَنْ أَشَارَ بِأَصْبَعٍ
وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَقَدْ أَشَارَ رَسُولُهُ فِي مَجْمَعِ الْ
نَحْوِ السَّمَاءِ بِأَصْبَعٍ قَدْ كُرِّمَتْ
يَا رَبُّ فَاشْهَدْ أَنَّنِي بَلَّغْتُهُمْ
فَعَدَا الْبَنَانُ مُرْفَعًا وَمُصَوَّبًا
أَدَّيْتُ ثُمَّ نَصَحْتُ إِذْ بَلَّغْتَنَا
حَجَّ الْعَظِيمِ بِمَوْقِفِ الْعُفْرَانِ
مُسْتَشْهِدًا لِلوَاحِدِ الرَّحْمَنِ
وَيُشِيرُ نَحْوَهُمْ لِقَصْدِ بَيَانِ
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ ذُو الْعُفْرَانِ
حَقَّ الْبَلَاحِ الْوَاجِبِ الشُّكْرَانِ^(٣).

الثالث عشر: التَّصْرِيحُ بِرَفْعِ الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ إِلَيْهِ ﷺ.

١ - عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَيِّيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهْمَا صُفْرًا خَائِبَتَيْنِ»^(٤).
٢ - عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ... اسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٣٨٤ - ٣٨٥).

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (ص ٣٣٥).

(٣) الكافية الشافية (ص ١١٣).

(٤) رواه الترمذي (٣٥٥٦)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢٨١٩).

مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ
الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ»^(١).

٣ - عَنِ الْمُقَدَّادِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ - قَالَ: «فَرَفَعَ [النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]
رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ... فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي وَاسْقِ مَنْ سَقَانِي»^(٢).

٤ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ
إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ
الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٥١) [المؤمنون: ٥١]، وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ
طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ
يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ،
وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!«^(٣).

٥ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَ الْمَالُ وَجَاعَ الْعِيَالُ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا! فَرَفَعَ يَدَيْهِ^(٤).

٦ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ صَاحِبَ
الصُّورِ مُنْذُ وَكَّلَ بِهِ مُسْتَعِدٌّ يَنْظُرُ نَحْوَ الْعَرْشِ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُؤْمَرَ قَبْلَ أَنْ
يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوَكَبَانِ دُرِّيَّانِ»^(٥).

(١) رواه مسلم (١٧٦٣).

(٢) رواه مسلم (٢٠٥٥).

(٣) رواه مسلم (١٠١٥).

(٤) رواه البخاري (٩٣٣).

(٥) رواه الحاكم (٥٥٨/٤ - ٥٥٩)، وحسنه الحافظ في «الفتح» (٣٧٦/١١).

٧ - عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ بَيْتِهِ قَطُّ إِلَّا رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلِمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ»^(١).

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ (٤٦٣هـ): «وَمِنْ الْحِجَّةِ: فِي أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْعَرْشِ، فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، أَنَّ الْمُوَحِّدِينَ أَجْمَعِينَ، مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، إِذَا كَرِبَهُمْ أَمْرٌ، أَوْ نَزَلَتْ بِهِمْ شِدَّةٌ، رَفَعُوا وُجُوهَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ، يَسْتَغِيثُونَ رَبَّهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ وَهَذَا أَشْهُرُ وَأَعْرَفُ، عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، مَنْ أَنْ يَحْتَاجَ فِيهِ إِلَى أَكْثَرِ مَنْ حَكَايَتِهِ؛ لِأَنَّهُ اضْطَرَّارٌ لَمْ يُؤْتِبَهُمْ عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَلَا أَنْكَرَهُ عَلَيْهِمْ مُسْلِمٌ»^(٢).

وَقَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٩٧هـ): «وَأَجْمَعَ الْخَلْقُ جَمِيعًا أَنَّهُمْ إِذَا دَعَا اللَّهُ جَمِيعًا، رَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَلَوْ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، مَا كَانُوا يَرْفَعُونَ أَيْدِيَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ مَعَهُمْ فِي الْأَرْضِ»^(٣).

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (٣٢٤هـ): «وَرَأَيْنَا الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا يَرْفَعُونَ أَيْدِيَهُمْ إِذَا دَعَا نَحْوَ السَّمَاءِ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ الَّذِي هُوَ فَوْقَ السَّمَوَاتِ. فَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْعَرْشِ، لَمْ يَرْفَعُوا أَيْدِيَهُمْ نَحْوَ الْعَرْشِ، كَمَا لَا يَحْطُونَهَا إِذَا دَعَا إِلَى الْأَرْضِ»^(٤).

وَقَالَ ابْنُ قِدَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ (٦٢٠هـ): «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْعُلُوِّ

(١) رواه أبو داود (٥٠٩٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٢٤٨).

(٢) التمهيد (١٣٤/٧).

(٣) كتاب العرش (ص ٥١) [مكتبة المُعَلَّا - الكويت، الطبعة الأولى].

(٤) الإبانة عن أصول الديانة (ص ٩٧ - ٩٨)، طبعة مكتبة البيان - دمشق، الطبعة الرابعة.

في السَّماءِ، ووصفه بذلك محمَّد خاتم الأنبياءِ، وأجمعَ على ذلك جميعُ العلماءِ مِنَ الصَّحابةِ الأتقياءِ والأئمَّةِ مِنَ الفقهاءِ، وتواترت الأخبارُ بذلك على وجهٍ حصلَ به اليقينُ، وجمعَ الله تعالى عليه قلوبَ المسلمينَ، وجعله مغروراً في طباعِ الخلقِ أجمعينَ، فتراهم عندَ نزولِ الكربِ بهم يَلْحَظُونَ السَّمَاءَ بأعينهم، ويرفعونَ نحوها للدعاءِ أيديهم، وينتظرونَ مجيءَ الفرجِ مِنْ رَبِّهم، وينطقونَ بذلك بالسنتهم، لا ينكرُ ذلك إلا مبتدعٌ غالٍ في بدعته، أو مفتونٌ بتقليده واتباعه على ضلالتِهِ»^(١).

الرابعُ عَشَرُ: النُّصوصُ الدَّالَّةُ على رؤيةِ أهلِ الجَنَّةِ لَهُ تعالى مِنَ الكتابِ والسُّنَّةِ، وإخبارُ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُمْ يَرُونَهُ كَرُوءِةِ الشَّمْسِ والقَمَرِ^(٢) ليلةَ البدرِ ليسَ دونهُ سحابٌ، ولا يرونَهُ إِلَّا مِنْ فَوْقِهِمْ^(٣).

وهذه المسألةُ مِنْ أَشْرَفِ مسائلِ أصولِ الدينِ، «وأجلُّها قدراً، وأعلاها خطراً، وأقرُّها لعيونِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، وأشدُّها على أهلِ البدعةِ والفرقةِ، وهي الغايةُ التي شَمَرَ إليها المشمُّرونَ، وتنافسَ فيها المتنافسونَ، وتسابقَ إليها المتسابقونَ، وَلِمِثْلِهَا فليعملِ العاملونَ، اتَّفَقَ عليها الأنبياءُ والمرسلونَ، وجميعُ الصَّحابةِ والتَّابعونَ، وأئمَّةُ الإسلامِ على

(١) إثبات صفة العلو (ص ٦٣)، لابن قدامة.

(٢) وجوه الشَّبه بين رؤية الله ورؤية الشمس والقمر:

أ - أنها رؤيةٌ من أسفلٍ إلى أعلى.

ب - أنها واضحةٌ جليَّةٌ.

ج - أنها بَصَرِيَّةٌ عَيَانِيَّةٌ.

د - أنها رؤيةٌ بلا إحاطةٍ.

(٣) شرح الطحاوية (٢/٣٨٦).

تتابع القرون، وأنكرها أهل البدع المارقون، والجهميّة المُتَهَوِّكونَ،
والفرعونيّة المعطلونَ، والباطنيّة الذين هم من جميع الأديان مُنْسَلِخُونَ،
وبجبال الشيطان مُتَمَسِّكونَ، ومن حبل الله منقطعونَ، وعلى مَسَبَّةِ أَصْحَابِ
رسول الله ﷺ عاكفونَ، وللسنة وأهلها محاربونَ، ولكلِّ عدوِّ الله ورسوله
ودينه مُسَالِمُونَ، وكلُّ هؤلاء عن ربِّهم مُحْجُوبُونَ، وعن بابه مَطْرُودُونَ^(١).
قال ﷺ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]^(٢).

- (١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص ٣٦١)، طبعة مؤسسة الرسالة.
- (٢) لِيَتَأَمَّلَ القارئُ اللبيبُ موقفاً جمعَ بين الإمام أحمد بن نصر الخزاعي (المتوفى سنة ٢٣١هـ)، وبين الواصل الخليفة الجهمي وقاضيه أحمد بن أبي دؤاد. ذكر الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/٣١٧ - ٣١٨): «أنَّ أحمد بن نصر حُمل مقيداً إلى الواصل وفي مجلسه أحمد بن أبي دؤاد وأتباعه. فقال له الواصل: ما تقول في القرآن؟ فقال: هو كلامُ الله. قال: أمخلوق هو؟ قال: هو كلامُ الله. فقال له: فما تقول في ربك؟ أترأه يوم القيامة؟ فقال: يا أمير المؤمنين قد جاء القرآن والأخبار بذلك، قال الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، وقال رسول الله ﷺ: «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته»، فنحن على الخبر. قال الواصل: ويحك! أئيرى كما يرى المحدود المتجسم ويحويه مكان ويحصره الناظر؟ أنا أكفر برَّب هذه صفته. ثم قام إليه فلما انتهى عليه ضربه بالسيف على عاتقه وهو مربوط بحبل قد أوقف على نطع، ثم ضربه أخرى على رأسه، ثم طعنه في بطنه فسقط صريعاً ﷻ، فأنا لله وإنا إليه راجعون. ﷻ وعفا عنه. قال ابن كثير معقباً على قياس الواصل: وما قاله الواصل لا يجوز ولا يلزم ولا يُردُّ به هذا الخبر الصحيح، والله أعلم».

قال الحافظ الذهبي رحمه الله: «أحاديث رؤية الله في الآخرة متواترة، والقرآن مصدق لها»^(١).

وفيما يلي أورد بعض الأحاديث الدالة على رؤية الله في الجنة.
١ - عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... وأسألك لذّة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقاءك»^(٢).

قال الحافظ إسماعيل بن محمد التيمي رحمه الله: والنبى ﷺ لا يسأل سؤالاً يستحيل؛ لأن الله تعالى لا يبعث نبياً إلا وهو عالم بما يجري عليه^(٣).
وقال ابن القيم رحمه الله:

أَوْ مَا سَمِعْتَ سُؤَالَ أَعْرَفٍ خَلَقَهُ شَوْقاً إِلَيْهِ وَلَذَّةَ النَّظَرِ الَّذِي الشَّوْقُ لَذَّةُ رُوحِهِ فِي هَذِهِ الدُّ تَلْتَذُّ بِالنَّظَرِ الَّذِي فَازَتْ بِهِ وَاللَّهُ مَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَلَذُّ وَكَذَاكَ رُؤْيَا وَجْهِهِ سُبْحَانَهُ لَكِنَّمَا الْجَهْمِيُّ يُنْكِرُ ذَا وَذَا تَبّاً لَهُ الْمَخْدُوعُ أَنْكَرَ وَجْهِهِ وَكَلَامُهُ وَصِفَاتِهِ وَعُلُوُّهُ فَتَرَاهُ فِي وَادٍ وَرُسُلُ اللَّهِ فِي	بِجَلَالِهِ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ بِجَلَالِ وَجْهِ الرَّبِّ ذِي السُّلْطَانِ نِيَا وَيَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ دُونَ الْجَوَارِحِ هَذِهِ الْعَيْنَانِ مَنْ اشْتِيَاقِ الْعَبْدِ لِلرَّحْمَنِ هِيَ أَكْمَلُ اللَّذَاتِ لِلْإِنْسَانِ وَالْوَجْهَ أَيْضاً خَشْيَةَ الْحِثَانِ وَلِقَاءَهُ وَمَحَبَّةَ الدِّيَانِ وَالْعَرْشَ عَظْلَهُ مِنَ الرَّحْمَنِ وَإِدٍ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْكُفْرَانِ ^(٤)
---	--

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/٤٥٥).

(٢) قطعة من حديث أخرجه النسائي (١٣٠٥ و ١٣٠٦)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن النسائي» (١٢٣٧ و ١٢٣٨).

(٣) الحجة في بيان المحجة (٢/٢٥٠).

(٤) الكافية الشافية (ص ٣٨٧).

٢ - عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ»^(١) مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ. ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]^(٢).

قال صديق حسن خان رحمته الله: «وتفسيرُ الزيادةِ النَّظَرُ إلى وجهِ الله سبحانه، وقد ثبتَ التفسيرُ بذلك من قولِ رسولِ الله ﷺ فلم يبقَ حينئذٍ لقائلٍ مقالٌ ولا التفاتٌ إلى المُجَادَلَاتِ الواقعةِ بينَ المُتَمَذِّهِةِ الذين لا يعرفونَ مِنَ السَّنَةِ المُطَهَّرَةِ ما ينتفعونَ به، فإنَّهم لو عرفوا ذلكَ لَكَفُّوا عن كثيرٍ من هَذَيَانِهِمْ. والله المستعان»^(٣).

٣ - عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، أُنِيَّتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، أُنِيَّتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِداءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»^(٤).

قال ابنُ القيم رحمته الله: «فهذا يدلُّ أن رداءَ الكبرياءِ على وجهه - تبارك وتعالى - هو المانعُ من رؤيةِ الذاتِ، ولا يمنعُ من أصلِ

(١) قال شيخُ الإسلام رحمته الله في «مجموع الفتاوى» (١٤٣/٨): «فأخبر أن النَّظَرَ إليه أحبُّ إليهم من كلِّ ما يتنعمونَ به، ومحبةُ النَّظَرِ إليه تبعُ لمحبتِهِ، فإنَّما أحبوا النَّظَرَ إليه لمحبتِهِمْ إِيَّاهُ، وَمَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا ويجدُ في قلبِهِ محبةَ الله، وطمأنينةً بذكرِهِ وتنعمًا بمعرفته، ولذةً وسروراً بذكرِهِ ومناجاتِهِ، وذلك يقوى ويضعفُ ويزيدُ وينقصُ بحسبِ إيمانِ الخلقِ. فكلُّ مَنْ كانَ إيمانهُ أكملَ كانَ تنعمُهُ بهذا أكملَ».

(٢) أخرجه مسلم (١٨١). (٣) فتح البيان (٥٠/٦).

(٤) أخرجه البخاري (٤٨٧٨) و(٤٨٨٠) و(٧٤٤٤)، ومسلم (١٨٠).

الرؤية؛ فإن الكبرياء والعظمة أمرٌ لازمٌ لذاته تعالى، فإذا تجلّى سبحانه لعباده يوم القيامة، وكشف الحجاب بينهم وبينه، فهو الحجاب المخلوق. وأما أنوار الذات الذي يحجب عن إدراكها فذاك صفة للذات، لا تفارق ذات الرب جلّ جلاله. ولو كشف ذلك الحجاب لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه. وتكفي هذه الإشارة في هذا المقام للمصدق الموقن، وأما المعطل الجهمي فكل هذا عنده باطل ومحال^(١).

٤ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ»^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: «والمخاطبون بهذا قوم عرب يعلمون المراد منه، ولا يقع في قلوبهم تشبيهه سبحانه [بالشمس والقمر] بل هم أشرف عقولاً، وأصح أذهاناً، وأسلم قلوباً من ذلك، وحقّق ﷺ وقوع الرؤية عياناً برؤية الشمس والقمر تحقيقاً لها، ونفياً لتوهم المجاز الذي يظنه المعطلون»^(٣).

وقال رحمه الله:

مَا بَعْدَ تَبْيَانِ الرَّسُولِ لِنَاضِرٍ	إِلَّا الْعَمَى وَالْعَيْبُ فِي الْعُمَيَّانِ
فَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ لِسَائِلٍ	مِنْ صَحْبِهِ عَنْ رُؤْيَا الرَّحْمَنِ
حَقًّا تَرَوْنَ إِلَهُكُمْ يَوْمَ اللَّقَا	رُؤْيَا الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ
كَالْبَدْرِ لَيْلَ تَمَامِهِ وَالشَّمْسِ فِي	نَحْرِ الظَّهِيرَةِ مَا هُمَا مِثْلَانِ

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص ١٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

(٣) زاد المعاد (٣/ ٦٨١ - ٦٨٢).

بَلْ قَصْدُهُ تَحْقِيقُ رُؤْيَتِنَا لَهُ فَآتَى بِأَظْهَرِ مَا يُرَى بِعَيَانٍ
وَنَفَى السَّحَابَ وَذَاكَ أَمْرٌ مَانِعٌ مِنْ رُؤْيَةِ الْقَمَرَيْنِ فِي ذَا الْآنِ
فَإِذَا أَتَى بِالْمُقْتَضَى وَنَفَى الْمَوَا نَعَ خَشْيَةَ التَّقْصِيرِ فِي التَّبْيَانِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِي بِهِ مِنْ بَعْدِ ذَا التَّبْيَانِ
مَاذَا يَقُولُ الْقَاصِدُ التَّبْيَانِ يَا أَهْلَ الْعَمَى مِنْ بَعْدِ ذَا التَّبْيَانِ^(١).

٥ - عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً أَرْبَعَ عَشْرَةَ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]^(٢).

قَالَ الْإِمَامُ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَوْلُهُ: «كَمَا تَرُونَ» لَيْسَ كَافُ التَّشْبِيهِ لِلْمَرْتَبَةِ بِالْمَرْتَبَةِ، بَلْ كَافُ التَّشْبِيهِ لِلرُّؤْيَةِ الَّتِي هِيَ فَعْلُ الرَّائِي بِالرُّؤْيَةِ، وَمَعْنَاهُ: تَرُونَ رَبَّكُمْ رُؤْيَةً لَا شَكَّ فِيهَا، كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا مَرِيَّةَ فِيهَا»^(٣).

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَعْلُومٌ أَنَّا نَرَى الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ عِيَانًا مُوَاجِهَةً، فَيَجِبُ أَنْ نَرَاهُ كَذَلِكَ، وَأَمَّا رُؤْيُهُ مَا لَا نُعَايِنُ وَلَا نُوَاجِهُهُ فَهَذِهِ غَيْرُ مُتَصَوِّرَةٍ فِي الْعَقْلِ، فَضْلًا عَنْ أَنْ تَكُونَ كَرُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ. وَأَمَّا قَوْلُهُ «لَا تُضَامُونَ» يُرَوَّى بِالتَّخْفِيفِ. أَي: لَا يَلْحَقُكُمْ ضَيْمٌ فِي رُؤْيَتِهِ كَمَا يَلْحَقُ النَّاسَ عِنْدَ رُؤْيَةِ الشَّيْءِ الْحَسَنِ كَالْهَلَالِ. فَإِنَّهُ قَدْ

(١) الكافية الشافية (ص ١٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

(٣) شرح السنة (٢/٢٢٦) للبغوي.

يُلْحَقُهُمْ ضَيْمٌ فِي طَلَبِ رُؤْيَتِهِ حِينَ يُرَى؛ وَهُوَ سَبْحَانُهُ يَتَجَلَّى تَجَلِيًّا ظَاهِرًا فَيَرُونَهُ كَمَا تُرَى الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِلَا ضَيْمٍ يُلْحَقُكُمُ فِي رُؤْيَتِهِ.

وَقِيلَ: «لَا تَضَامُونَ» بِالتَّشْدِيدِ، أَي: لَا يَنْضَمُ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ كَمَا يَتَضَامُ النَّاسُ عِنْدَ رُؤْيَةِ الشَّيْءِ الْخَفِيِّ كَالْهَلَالِ، وَهَذَا كُلُّهُ بَيَانٌ لِرُؤْيَتِهِ فِي غَايَةِ التَّجَلِّي وَالظُّهُورِ بَحِثٌ لَا يُلْحَقُ الرَّائِي ضَرَرٌ وَلَا ضَيْمٌ كَمَا يُلْحَقُهُ عِنْدَ رُؤْيَةِ الشَّيْءِ الْخَفِيِّ وَالبَعِيدِ وَالمَحْجُوبِ وَنَحْوِ ذَلِكَ»^(١).

٦ - عَنْ أَبِي رَزِينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أُنَرَى اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ؟ قَالَ: «يَا أَبَا رَزِينٍ! أَلَيْسَ كُلُّكُمْ يَرَى الْقَمَرَ مُخْلِيًّا بِهِ؟» قُلْتُ: بَلَى! قَالَ: «فَاللَّهُ أَعْظَمُ وَذَلِكَ آيَةُ فِي خَلْقِهِ»^(٢).

وَإثْبَاتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَوَازَ الرُّؤْيَةِ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ وَكُلُّ مَنْهُمْ يَكُونُ مُخْلِيًّا بِهِ بِالْقِيَاسِ عَلَى رُؤْيَةِ الْقَمَرِ مَعَ قَوْلِهِ: «اللَّهُ أَعْظَمُ» دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّ النَّاسَ يَرُونَهُ مُوَاجِهَةً عَيْنَانَا يَكُونُ بِجِهَةٍ مِنْهُمْ. وَإِذَا أَمَكْنَ فِي بَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ أَنَّهُ يَرَاهُ النَّاسُ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ كُلُّهُمْ يَكُونُ مُخْلِيًّا بِهِ، فَاللَّهُ أَوْلَى أَنْ يَمَكْنَ ذَلِكَ فِيهِ فَإِنَّهُ أَعْظَمُ وَأَجَلُّ^(٣) وَأَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. فَهَذَا يُزِيلُ كُلَّ إِشْكَالٍ، وَيُبْطِلُ كُلَّ خِيَالٍ^(٤).

قَالَ ابْنُ أَبِي الْعَزِّ الْحَنْفِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَلَيْسَ تَشْبِيهُ رُؤْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِرُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ تَشْبِيهًا لِلَّهِ، بَلْ هُوَ تَشْبِيهُ الرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ، لَا تَشْبِيهُ الْمَرئي [وَهُوَ اللَّهُ] بِالْمَرئي [وَهُوَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ]، وَلَكِنْ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ

(١) مجموع الفتاوى (١٦/٨٥ - ٨٦).

(٢) رواه ابن ماجه (١٨٠)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٥٠).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (٢/٤١٥).

(٤) شرح الطحاوية (ص ٣٧٥).

على خلقه، وإلا فهل تعقل رؤية بلا مقابلة! ومن قال: يرى لا في جهة^(١)، فليراجع عقله!! فإما أن يكون مكابراً لعقله، أو في عقله شيء، وإلا فإذا قال: يرى لا أمام الرائي، ولا خلفه، ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته ردّ عليه كل من سمعه بفطرته السليمة.

ولهذا ألزم المعتزلة من نفى العلو بالذات بنفي الرؤية، وقالوا: كيف تُعقل رؤية بغير جهة^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله:

فَسَلِ الْمُعْطَلُ هَلْ يُرَى مِنْ تَحْتِنَا أَمْ عَنْ شَمَائِلِنَا وَعَنْ أَيْمَانِ
أَمْ خَلْفَنَا وَأَمَامَنَا سُبْحَانَهُ أَمْ هَلْ يُرَى مِنْ فَوْقِنَا بَيَانِ

(١) قال النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (٣/١٦): «يراه المؤمنون؛ لا في جهة». وردّ عليه صديق حسن خان رحمه الله في «السراج الوهاج» (١/٣٤٧) بقوله: «هذا الذي قاله؛ سلك فيه مسلك المتكلمة.

ومذهب أهل الحق في ذلك وما ضاهاه: إمراره على ظاهره من غير تأويل ولا تعطيل؛ وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة قوله ﷺ للجارية «أَيْنَ اللَّهُ؟»، وفي أخرى «الإشارة بالإصبع إلى السماء» والأخبار في ذلك كثيرة جداً. وكذلك آيات الكتاب العزيز تدلّ عليه دلالة واضحة، وتفيدُ الفوق، والعلو، والاستواء على العرش، والكون في السماء، فأين هذا من ذاك؟ رحم الله امرأاً أنصف، ولم يتأوّل ولم يتعسف».

وقال العلامة يحيى بن أبي الخير العمراني (٥٥٨هـ) في «الانتصار» (٢/٦٤٧ - ٦٤٨): «وأما الدليل على إبطال قول الأشعرية فهو: أن الشرع ورد بثبوت الرؤية لله تعالى بالأبصار فحمل ذلك على الرؤية المعهودة، وهو ما كان عن مقابلة، بدليل قوله ﷺ: «كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»، ولا يقتضي ذلك تحديداً ولا تجسيماً لله، كما لا يقتضي العلم به تحديداً له ولا تجسيماً.

وإن قالوا: إن الرؤية لا تختص بالأبصار، رجّعوا إلى قول المعتزلة، في نفى الرؤية، وأن المراد بالرؤية العلم به ضرورياً، وقد حكي عن بعض متأخري الأشعرية أنه قال: لولا الحياء من مخالفة شيوخنا، لقلت: إن الرؤية العلم لا غير».

(٢) شرح الطحاوية (١/٢١٩ - ٢٢٠).

يَا قَوْمُ مَا فِي الْأَمْرِ شَيْءٌ غَيْرَ ذَا أَوْ أَنْ رُؤْيَتَهُ إِلَّا إِمْكَانٍ
إِذْ رُؤْيَتْ لَا فِي مُقَابَلَةٍ مِنَ الرَّ أَيْ مُحَالٌ لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ
وَمَنْ ادَّعَى شَيْئاً سِوَى ذَا كَانَ دَعَا وَاهُ مُكَابَرَةٌ عَلَى الْأَذْهَانِ^(١).

وقال ﷺ: «والذي تفهمه الأمم على اختلاف لغاتها وأوهامها من هذه الرؤية رؤية المقابلة والمواجهة التي تكون بين الرائي والمرئي فيها مسافة محدودة غير مُفْرِطَةٍ في البعد، فتمتنع الرؤية، ولا في القرب، فلا تمكن الرؤية، لا تعقل الأمم غير هذا، فإِذَا أَنْ يَرَوْهُ سبحانه من تحتهم - تعالى الله - أو من خلفهم، أو من أمامهم، أو عن أيمنهم، أو عن شمائلهم، أو من فوقهم، ولا بد من قسم من هذه الأقسام إن كانت الرؤية حقاً، وكلها باطل سوى رؤيتهم له من فوقهم. ولا يتم إنكار الفوقية إلا بإنكار الرؤية، ولهذا طرد الجهمية أضلهم، وصرّحوا بذلك، وركبوا النقيضين معاً، وصدق أهل السنة بالأمريين معاً، وأقرّوا بهما، وصار من أثبت الرؤية، ونفى علو الرب على خلقه واستواءه على عرشه مُذَبِّباً بين ذلك لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء»^(٢).

الخامس عشر: التصريح بنزوله ﷺ كل ليلة إلى السماء الدنيا، والنزول المعقول عند جميع الأمم إنما يكون من العلو إلى أسفل^(٣).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي

(١) الكافية الشافية (ص ١١٤).

(٢) إعلام الموقعين (٢/ ٣١٧ - ٣١٨).

(٣) إعلام الموقعين (٢/ ٣٠١).

فَأَغْفِرَ لَهُ؟»^(١).

اعلم رحمك الله بأنَّ حديثَ النزولِ «حديثٌ كبيرٌ جليلٌ، تنادي جلالتهُ وفخامتهُ وعظمتهُ على أَنَّهُ قدَ خرجَ منْ مشكاةِ النبوةِ»^(٢)، و«هو قرّةُ لعيونِ أهلِ الإيمانِ، وشجى في حلقِ أهلِ التَّعطيلِ والبهتانِ»^(٣)، يجبُ الأخذُ بظاهره من غيرِ تأويلٍ ولا يجبُ أنْ يستوحشَ من إطلاقِ مثلِ ذلكِ.

قالَ الإمامُ الشافعيُّ رَحِمَهُ اللهُ (٢٠٤هـ): «القولُ في السنّةِ التي أنا عليها ورأيتُ أصحابنا عليها، أهلُ الحديثِ الذينَ رأيتهم فأخذتُ عنهم، مثلُ سفيانَ [بن عيينة] ومالكٍ وغيرهما:

الإقرارُ بشهادةِ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمّداً رسولُ الله.. وأنَّ اللهَ على عرشه في سمائه يقربُ منْ خلقه كيفَ شاء. وأنَّ اللهَ تعالى ينزلُ إلى السَّماءِ الدُّنيا كيفَ شاء»^(٤).

وقالَ الدَّارِمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ (٢٨٠هـ): «والآثارُ التي جاءتْ عن رسولِ الله ﷺ في نزولِ الرّبِّ تبارك وتعالى تدلُّ على أَنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ فوقَ السَّماءاتِ على عرشه، بائنٌ منْ خلقه»^(٥).

وقالَ الإمامُ الطبريُّ رَحِمَهُ اللهُ (٣١٠هـ): «وأنَّهُ ﷺ يهبُ كلَّ ليلةٍ وينزلُ إلى السَّماءِ الدُّنيا، لخبرِ رسولِ الله ﷺ»^(٦).

(١) رواه البخاري (١١٤٥ و ٦٣٢١ و ٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨) وهو حديث متواتر.

(٢) زاد المعاد (٦٧٧/٣).

(٣) مختصر الصواعق (٢٣٧/٢).

(٤) الوصية (ص ٥٤)، تحقيق: الشيخ سعد الدين الكبي حفظه الله تعالى - طبعة المكتب الإسلامي.

(٥) الرد على الجهمية (ص ٧٣) [طبعة دار ابن الأثير - الكويت، الطبعة الثانية].

(٦) التبصير في معالم الدين (ص ١٣٦).

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْبَاقِي يَهْبِطُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ثُمَّ تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَهُ فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سَوْلُهُ؟ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ»^(١).

وعقد الإمام ابن خزيمة رحمته الله (٣١١هـ) باباً في كتاب «التوحيد» افتتحه بقوله: باب ذكر أخبار ثابتة السند، صحيحة القوام، رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي ﷺ في نزول الرب جلّ وعلا إلى السماء الدنيا كل ليلة.

نشهد شهادة مقرر بلسانه، مصدق بقلبه، مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن يصف الكيفية لأنّ نبينا المصطفى ﷺ لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى السماء الدنيا وأعلمنا أنّه ينزل، والله جلّ وعلا لم يترك ولا نبيّه ﷺ بيان ما بالمسلمين إليه الحاجة من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية، إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول.

وفي هذه الأخبار ما بان وثبت وصحّ أنّ الله جلّ وعلا فوق سماء الدنيا - الذي أخبرنا نبينا ﷺ أنّه ينزل إليها - إذ محال في لغة العرب أن يقول: ينزل من أسفل إلى أعلى، ومفهوم الخطاب أن النزول من أعلى إلى أسفل^(٢).

(١) رواه ابن خزيمة (٨٩)، وأحمد (٣٨٨/١ و ٤٠٣ و ٤٤٦)، والآجري (٣١٢) بسند صحيح.

(٢) التوحيد (ص ١٢٥ - ١٢٦).